

تصور اليمني القديم للحياة بعد الموت في الألف الأول ق.م. - الألف الأول الميلادي من خلال المرفقات الجنائزية

وداد أحمد القدسي

ملخص: تهدف هذه الورقة البحثية إلى معرفة ما إذا كانت فكرة الحياة بعد الموت موجودة في تصور الإنسان اليمني القديم في الحضارة اليمنية القديمة، كما وجدت لدى الشعوب القديمة في مختلف الحضارات القديمة. وتتمثل فكرة الحياة بعد الموت من خلال ممارسات الطقوس الجنائزية، وعادات الدفن. ولهذا فقد وجدت هذه الفكرة أيضاً في الحضارة اليمنية القديمة من خلال دراسة طرق أساليب دفن الموتى والمرفقات الجنائزية، إذ قدمت دليلاً على تصور الإنسان اليمني القديم للحياة بعد الموت؛ إيماناً منه بالبعث والخلود.

كلمات مفتاحية: العالم الآخر، الطقوس الجنائزية، المرفقات، النصب (الشواهد) القبرية.

Abstract: This research paper investigates the concept of life after death as understood by the ancient Yemeni civilization, drawing parallels with similar beliefs observed in various other ancient cultures. The notion of an afterlife is examined through the lens of funeral rituals and practices and burial habits. By analyzing burial methods and associated funerary artifacts within Yemeni civilization, this study provides evidence of the ancient Yemeni populace's perceptions regarding life after death believing in resurrection and eternal life.

المقدمة

معينة بينت تصوره للعام الآخر.

لقد تعددت مظاهر الدفن للموتى، وأساليبها، وطقوسها، كما تعددت أشكال المدافن التي توارت فيها أجساد الموتى؛ وقد ساعد على تحقيق هذه الفكرة عدة عوامل، منها العامل الطبيعي والعامل البشري، إلى جانب العامل الاقتصادي والاجتماعي اللذين كان لهما دور مهم في تجسيد الطقوس الجنائزية، من خلال عادات الدفن في تجهيز المقابر والمرفقات الجنائزية والنصب كشواهد القبور.

لذا، تهدف هذه الورقة إلى تحليل ذلك التصور وتحليل دراسة العوامل التي ساعدت على نشأتها.

أولاً: تصور الإنسان للعالم الآخر

منذ فجر التاريخ الإنساني عرف الإنسان طريقة

كانت فكرة تصور الحياة بعد الموت موجودة في الحضارات القديمة، وذلك من خلال طرق أساليب دفن الموتى، ومن هذه الحضارات الحضارة اليمنية القديمة، ونستدل على ذلك من خلال المرفقات الجنائزية، التي أعدت من خلال ممارسة الطقوس الجنائزية، وعادات الدفن.

تسعى هذه الورقة البحثية إلى إلقاء الضوء على تصور الإنسان اليمني القديم للحياة بعد الموت، إذ عدّ الإنسان اليمني القديم فكرة الحياة بعد الموت أنها اختفاء مؤقت عن الحياة، وأن أصل دفن الجسم هي قرينة قوية لدوام الحياة؛ ولذلك قام بعدة أساليب أو نشاطات من الأنظمة المتسقة من ممارسات للطقوس الجنائزية، وعادات الدفن التي تدور حول سلوكيات

السوفيتية في عام (١٩٨٤)، بغرض دراسة النواحي الأيديولوجية وطقوس الدفن للسكان؛ بهدف معرفة تصور الإنسان اليمني القديم للحياة والعالم الآخر بعد الموت، وخلصت نتائج التنقيبات الأثرية إلى أن جميع المقابر الكهفية والأرضية بما تحتويه من مرفقات جنائزية من اللقى الأثرية تشير إلى علاقتها بطقوس الدفن الجنائزي (سيدوف، السلموني ١٩٨٧: ١٢١-١٢٣)، وتدل على كيفية تصور الإنسان القديم للحياة بعد الموت وإعداده لها، من خلال قيامه بممارسة الطقوس الجنائزية.

لقد عُدَّ الموت بالنسبة للإنسان القديم، اختفاء مؤقتاً عن الحياة (حسين ٢٠٠٩: ٢٦)، وقد نجح انتشار فكرة تصور العالم الآخر في جميع الشعوب القديمة؛ نظراً لأن الموت متعلق بوجود الإنسان ومصيره، فقد كان الإنسان القديم لا ينظر إلى فكرة الموت بوصفها نهاية مطلقة، بل على أنها نهاية تعبر عن خلود الروح (حنون ١٩٨٦: ٩)، وفي هذا السياق، حملت التماثيل أو النصب الحجرية القبرية نقوشاً تتضمن بدايتها كلمة (ن ف س) كما جاء في نقش (CIH 522) بمعنى نفس، روح، حياة، تدل على صورة الميت (Beeston & al 1982: 93)، وأما كلمة معمر فيصنفها (غلانزمان) التي انتشرت على العديد من قاعدة التماثيل التي عُثِرَ عليها في المقبرة، بأنها تعني المقام الأخير أو دار الآخرة أو دار الخلد (غلانزمان ١٩٩٩: ١٧٧).

شهدت المقابر مرحلة مهمة للإنسان، تمثلت في امتلاكه طلائع الفكر للعقائد والطقوس والمشاعر الإنسانية، المتمثلة في احترام الأموات والاهتمام بإقامة طقوس جنائزية للدفن، ويدل ما تركه على أرضية المقابر من بقايا الأدوات والأواني المختلفة والمتنوعة على ذلك.

تجسدت عملية الدفن كما يرى أغلب الباحثين في نوعين: النوع الأول: يتمحور في طيِّ ولف الميت، ما يدل على تأمينه من شر المجهول؛ والنوع الآخر يسري في وضعية الجنين في باطن الأرض بانتظار ولادة

الدفن، وأول عملية للدفن كانت عندما قتل هابيل أخيه قابيل، قال تعالى في سورة المائدة الآية ٣١ ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾، ويُعد العالم الآخر بالنسبة للإنسان القديم في غاية الأهمية، إذ أثرت ظاهرة الموت في حياته، في جانبين: الجانب الفكري (العقل)، والجانب التطبيقي المتمثل في الطقوس والشعائر الجنائزية الخاصة بالتجهيز، بدءاً من تجهيز القبر حتى عملية الدفن، وانتهاءً بوضع المرفقات والنصب كشواهد القبور.

ويعد أصل دفن الجسم في حد ذاته قرينة قوية لصالح فكرة دوام الحياة فيما بعد الموت، إذ مارس الإنسان منذ القدم الطقوس الجنائزية، وأقدم الدلائل على تلك الطقوس تلك التي مارسها إنسان نيادرتال، حين قام بدفن موته اعتقاداً منه بالحياة بعد الموت (غوران ٢٠٠٦: ٥٢-٥٦)، إضافة إلى وضع علامات اللون الأحمر على الكتل الصخرية في المقابر التي تعد واقعة دينية، تعبر فيها عن القوة واستمرارية الحياة لما بعد الموت (السقاف ٢٠٠٧: ٨٤-٨٥). وبالنسبة للإنسان اليمني القديم لوحظ هذا الاعتقاد في المقابر، وذلك في اختلاف عادات الدفن وأساليبه ونوع المرفقات من اللقى الأثرية الذي تعود للمعتقد العائد إلى التنوع الثقافي والبيئي في الحضارة اليمنية القديمة.

يتمثل فهم تلك الآثار أو اللقى في الحضارة اليمنية القديمة، في الرجوع إلى عقائدها فيما بعد الموت، إذ إنها طغت على سائر معتقداته؛ ذلك أن معظم تلك الآثار قد كشفت عنها التنقيبات في القبور، سواء أكانت تلك القبور لأفراد من عُلِيَّةِ الْقَوْمِ أم لأفراد عاديين، أم كانت مقابر جماعية أو فردية، على سبيل المثال مقابر وادي ضراء الشهيرة التي احتوت على أنواع مختلفة من المرفقات الجنائزية، وكذلك القبر الملكي في منطقة العصيبة، ومقابر ريبون التي نقت فيها البعثة اليمنية



اللوحة ١: (Mahram Bilqīs DASI)

ثانياً: العوامل المؤثرة في تغيير الطقوس الدينية

تندرج عملية التغير في الطقوس الدينية تحت عاملين رئيسين، هما: العامل الطبيعي، والعامل البشري، اللذين أسهما في تنوع عادات الطقوس لدفن الميت واختلافها.

١- العامل الطبيعي

لقد أسهمت الظروف الطبيعية الجغرافية والمناخية للمنطقة في حدوث تغير وتحديداً تكوين المقابر، التي تعد المسكن الطبيعي (المأوى)، الذي بدوره لم يتأثر بالظروف الطبيعية والمناخية التي أسهمت في تعدد ابنية المقابر على سطح الأرض أو تحت سطح الأرض في المرتفعات والهضاب ومنحدرات الوديان (الحسيني ٢٠١٣: ٢٤)، إضافة إلى حفظ جثث الموتى فيها.

ففي عصور ما قبل التاريخ كانت المقابر على هيئة ذيول طويلة ممتدة بشكل مستقيم أو متعرج، أو بالأشكال الدائرية المنتشرة في وادي حصرموت الكبير، منها تلك الموجودة في منطقة وادي عمد، المسيلة، مدر نعام، وغيرها من المناطق المنتشرة فيها كلا النوعين الدائرية والممتدة من المقابر (العيدروس ٢٠٢٤: ١١٠-١١١)، (اللوحة ٢) (Macarella 2018:58).

أما في فترة ما قبل الميلاد والفترة الميلادية، فقد ظهر شكلان للمقابر تحديداً بفعل الطبيعة الجغرافية، منها القبر الرمسي^(١) المرتبط بدفن حيوان الجمال إلى

جديدة، شأن الميت في ذلك شأن النائم الملقين على الأرض (غوران ٢٠٠٦: ٥٣-٤٣). وتستدعي عملية الطقوس الجنائزية هذه، إرفاق بعض المرفقات من موائد القرابين والأواني والأثاث الجنائزي بجانب الميت، وبعض القطع التي تظهر بشكل مجسمات رمزية صغيرة لتلك القرابين؛ وذلك لأجل استمرارية عبادة دائمة للآلهة (كلودرو ١٩٩٩ (أ): ٢٠٨)، (اللوحة ١).

وتعد تلك الطقوس الجنائزية بالنسبة للإنسان القديم نظاماً متسقاً من ممارسات للمعتقدات التي تدور حول نشاط أو سلوكيات تمثلها ثقافة معينة تصنعها جماعة محددة، إذ يتمسك بها الأفراد وتصبح جزءاً منهم، فلا تستطيع أي جماعة أو فرد غريب قادر على فهم تلك العادات الخاصة بهم. وعليه، أصبحت تلك الطقوس معتقدات لتلك الشعوب القديمة بمفهومها ولها تأثيرها البالغ الأهمية في حياتهم، أي لها القدرة على السيطرة على سلوك حياتهم وطرق تفكيرهم (دغيم ١٩٩٥: ٧)، بما تفرض تقديمه من سلوك أو نشاط يصبح بعد ذلك معتقداً.

تشكّل تصور الحياة بعد الموت في حياة الإنسان القديم منذ تطوره الأول ولحظة البداية في إحساسه بالانفصال عن الوجود، واكتشافه أن فكرة الحياة بعد الموت خارجة عن ذاته وإرادته؛ ما مثّل له حافزاً للتعبير عن فكرة هذا التصور من خلال الطقوس والشعائر الجنائزية، بدءاً من بناء المقابر إلى تجهيز المرفقات والنصب (الشواهد) القبرية. إلى أن أدرك أنه يعيش حالة صراع له نظام وقوانين، وأن عليه الاستعداد لحياة أخرى بعد موته؛ ما أضاف إليه دافعاً للتعبير عن ذلك التصور بشكل أدق من خلال المخلفات المادية من المرفقات الجنائزية.

لذا، فإن فكرة الحياة بعد الموت كانت بمثابة مسألة حتمية لدى الإنسان القديم، بعد أن بلغ مرحلة تصور الحياة بعد الموت ذروة تاريخية فاصلة في حياة الشعوب والحضارات القديمة.

وجودها أهمية كبيرة في إقامة الطقوس الدينية والشعائر الجنائزية، نظراً لأن مقبرة أوام احتوت على دفن بعض عليّة القوم أمثال المكربين، كما أضفى تصميم مقابر محرم بلقيس أهمية كبيرة في وجود بعض اللقى الأثرية من مختلف الأثاث الجنائزي على هيئة مجسمات صغيرة، تزامن وجودها مع نشاط المعابد المماثلة للقى في كلا المعبدتين أوام، ومحرم بلقيس (كلودرو ١٩٩٩ (ب): ١٧٠).

كما كشفت البعثات الأثرية وجود معابد جنائزية بالقرب من المقابر التي نقت في معظمها من خلال بقايا العمارة الدينية، إضافة إلى عثور البعثة الأمريكية على بقايا معبد داخل مقبرة، والذي أطلق عليها (مصلى الموتى) ويؤرخ للقرن الرابع قبل الميلاد (محمد ٢٠٠٢: ٦٣).

إلى جانب دفن الموتى وإحاطتهم بالمرفقات الجنائزية، فقد دُفنت الحيوانات بالقرب منهم، إذ عُثر في عدة مواقع أثرية على أماكن لدفن حيوان الجمل في كل من ربيون ووادي دوعن (الجرو ١٩٨٩: ١٤٦)، وهذا النوع من المقابر للحيوانات وجدت لدى الحضارة اليمنية القديمة في منطقة حضرموت، ومعظمها أرخت إلى نهاية القرن السادس ق.م. وبداية القرن الأول الميلادي (سيدوف ١٩٩٩: ٢٩٥).

ثالثاً: الطقوس الجنائزية

تعد الطقوس الجنائزية من أبرز الممارسات الرمزية التي تعكس تصوّر المجتمع اليمني القديم للحياة بعد الموت، إذ ارتبطت هذه الطقوس المختلفة بنظام فكري وديني متكامل يجسّد الترابط الاجتماعي؛ وتشمل هذه الممارسات سلسلة من الإجراءات المترابطة، تبدأ بتجهيز القبر وإعداده بوضعية المكان المخصص لاستقبال تلك الأجساد، وما يرافق ذلك من تنظيم هندسي للقبر يُعبّر عن مكانة المتوفى في الحضارة اليمنية القديمة؛ بمعنى آخر، لماذا يقوم الإنسان القديم بهذه العملية لتجهيز الطقوس الجنائزية؟ إن ذلك يعود لأمرين: الأول: هو درء الشر من القوى الخفية له،



اللوحة ٢: مقابر طويلة ممتدة بشكل مستقيم أو متعرج، منتشرة في وادي حضرموت (Macarella 2018:58)

جانب مقابر الإنسان، ومقابر "ذو النواوس" ^(٢) للإنسان (كلودرو ١٩٩٩ (أ): ٢٠٦).

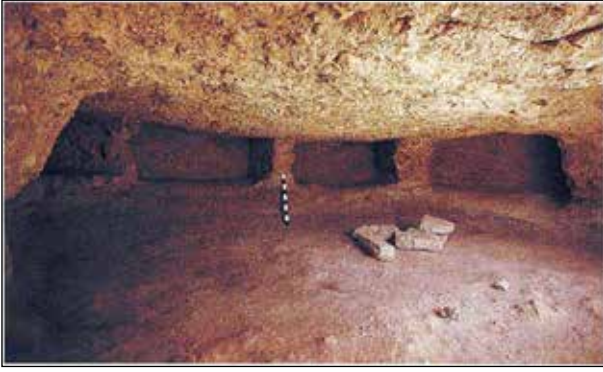
٢- العامل البشري

يتمثل في طرق الدفن، التي اختلفت من منطقة إلى أخرى مع مر السنين، إذ تطورت عملية الطقوس الجنائزية عبر مراحل ما قبل التاريخ والفتحات التاريخية (العيدروس ٢٠١٤: ٨٠)، كما تزامنت مع تطور الأدوات ومرفقات الدفن التي تعد موادّ جنائزية ذات طابع ديني مرتبط بالولائم والشعائر الدينية (الجرو ١٩٨٩: ١٦١).

أما الجانب الاقتصادي، فقد أسهمت صلة التجارة القديمة في انتشار المقابر والصروح على الطريق التجاري، خارج مدن الممالك القديمة، الذي أظهر تنوع التجهيزات والأثاث في تلك المقابر، الذي يعكس ثقافة مختلفة لتلك الأقوام (دي ميغريه ١٩٩٩: ١٦٦).

كما كان للجانب الاجتماعي دور كبير في إقامة عملية الطقوس الجنائزية، التي ظهرت سابقاً في عصور ما قبل التاريخ، على سبيل المثال في منطقة العبر ووادي جردان في حضرموت، فقد لوحظ إقامة الطقوس الجنائزية بالقرب من القبور التي كانت على هيئة أنصاب حجرية (العريقي ٢٠٠٢: ٣٨).

واستمرت تلك العملية في الفترة التاريخية، في مقابر مأرب، وأشهرها على الإطلاق المقبرة الواقعة بجانب معبد أوام ومحرم بلقيس، التي أضيف إلى



اللوحة ٣: (Macarella 2018: 66)

جنائزي من الأواني والحلي، إضافة إلى تيمية (Nur-
(El-Din 1995: 236). (اللوحة ٣). (Macarella 2018:64-66)

كما كشفت الحفريات الأثرية في منطقة شعوب التي أرخت إلى القرن الأول ق.م، وجود مجموعة من المقابر تحت الأرض، وتسمى بالمقابر الأرضية على مستوى واحد شكلت بنظامين؛ يتشكل النظام الأول: على هيئة حفر ترابية، والثاني: على شكل صناديق حجرية، إذ شكلت القبور الترابية من طبقات الحصى بمسقط أفقي بيضاوي ولوحظ فيها دفن الجثث، ويظهر التجهيز الجنائزي فيه لأحد المقابر من مسحوق عظام منشور على الأرضية مغطاة بالحشائش، وهذا القبر خال من الأثاث الجنائزي. بينما المقابر على هيئة صناديق مستطيلة، يعد الأساس المحيط بها على شكل بيضاوي، إذ إن المقبرة تتشكل من صفائح الحجر الجيري متراسة بجانب بعضها بعضاً، وتتخذ منها نوعاً من الغطاء، فتشكل أحجار تلك الصناديق بحسب العمر، وقد وجد في بعض الصناديق أرضية مغطاه بطبقة رقيقة من الجبس، أو مستوية فقط، كما وجد في قاع أحد الصناديق أجزاء من تابوت خشبي أحمر (جرلاخ، فوكت ٢٠٠٤: ٦٥ - ٦٧). (الشكل ١)

(Macarella 2018:71)

وقد ظهرت عادات الدفن في الممالك اليمنية القديمة ببعض من الخصوصية لكل مملكة، إذ تشير إلى الإيمان بالحياة بعد الموت، وحياة الخلود، وذلك من خلال دلائل إقامة المقابر بأشكالها المتعددة التي تمثل صلة بين الروح التي تغيب، والجسد الذي يبقى حتى بعد

والأمر الآخر: تُعد تلك التجهيزات للميت تزويداً لرحلة الحياة بعد الموت وإرضاء الإله.

كما تتجلى هذه الطقوس في إيداع المرفقات الجنائزية داخل القبر، وهي عناصر مادية ذات دلالة وظيفية أو رمزية، تهدف إلى مرافقة المتوفى في رحلته للعالم الآخر، ويُضاف إلى ذلك النصب (الشواهد) القبورية التي تمثل بُعداً توثيقياً وذاكرة مادية تُخلد هوية المتوفى، ومن ثم فإن دراسة محاور تلك الطقوس الدينية تُتيح فهماً أعمق للتصورات الجنائزية وللنسق القيمي والثقافي الذي وجّه سلوك الإنسان اليمني القديم تجاه الحياة بعد الموت.

١- تجهيز المقابر

إن تجهيز المقابر تمثل خطوه أساسية في الطقوس الجنائزية، فقد ارتبط إعداد القبر بطرائق معمارية دقيقة، كما ارتبطت عملية التجهيز بمفاهيم رمزية تتصل بالتصور العقائدي للمجتمع؛ ما يجعل دراسة المقابر مدخلاً مهماً لفهم البنية الفكرية والثقافية للمجتمع اليمني القديم؛ إذ كان التعرف عليها من قبل البعثات الأثرية أثناء الحفريات التي تؤرخ إلى الألف الأول ق.م، كانت تصمم لاستيعاب أكثر من متوفٍ واحد؛ أي في الغالب كانت مقابر جماعية، بينما في القرن الأول قبل الميلاد، ظهر بداية الدفن الفردي عندما لوحظ أنه لا يوجد معيار معين لوضع المتوفى في العديد من المقابر المكتشفة، حيث يدفن المتوفى في وضعية ممتدة ملقى على ظهره وهذه الظاهرة مشابهة مع المقابر الفردية (جرلاخ، هتجن ٢٠٠٥: ٤٤٩ - ٤٥٠) مع وضع الأثاث الجنائزي بجانبه اعتقاداً بأن هناك حياة أخرى ستستأنف بعد الموت.

وقد أعد القدماء القبور الصخرية في منطقة شبام الغراس التي تتسع لشخص أو أكثر من شخص، يظهر ذلك من خلال حجم القبر الصخري الذي يختلف من مكان لآخر، كذلك دلت فيها على ممارسة الطقوس الجنائزية، فقد وجدت آثارها عند أحد المومياءات قطعة خشبية وضعت تحت الركبة اليسرى ومعها أثاث

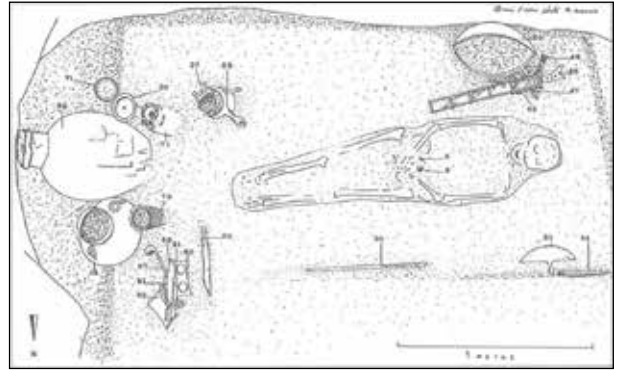
المقابر من مرحلة لأخرى يبرز لنا تطور فكر الإنسان في الطقوس الجنائزية الذي يعود إلى ارتباطه بالأساليب المعيشية والبيئية التي حل بها .

٢- المرفقات الجنائزية

تشكل المرفقات الجنائزية جزءاً جوهرياً من الطقوس، إذ وُضعت في المقابر لتؤدي وظائف رمزية معينة، شملت هذه المرفقات أدوات من الحياة اليومية المتنوعة، التي يعكس مستوى المتوفى الاجتماعي والديني، من أواني الطعام والشراب، وموائد القرابين، والمباخر، والحلي، والأدوات، والقرابين، إلى جانب بعض الألواح النذرية، والمجسمات الآدمية والحيوانية، التي تجسّد قدرة الفنان اليميني القديم في مهارة التصنيع الذي لم يظهر فجأة، بل مر بعدة مراحل طويلة تطورت مع الزمن، واكتسب من خلالها خبرات فنية متنوعة.

وكانت معظم المقابر تقام بالقرب من المعابد؛ وذلك لتحظى بحماية إله المعبد للمقبرة وبمكانياتها وممتلكاتها، كما هو في مقبرة الحصمة، فقد وجد على معظم الأواني والأدوات والتعاويذ تنوعاً في الرموز الدينية للآلهة التي كان يعتقد الإنسان بأنها تحمية من المجهول (الحاج ٢٠١٥: ٣٠)، وفي مقبرة وادي ضراء، التي عثر في أحد مقابرها على كأس من الفضة عليه شريط كتابي بخط المسند يذكر فيه صاحبه تقديم الكأس إهداء للإله سين ذي أليم؛ بغرض الحماية للقبر (الحسني ٢٠٠٦: ١٦١).

كذلك احتوت المقابر على قرابين من المباخر، فقد تعددت أشكالها وأحجامها وأنواعها، إضافةً إلى الزخارف التي توطّرها، هذا يأتي بسبب استخدامها في المعابد الذي كان الغرض منها التطهير، بينما دلّ وجود تلك المباخر في المقابر علامة أو رمز لإرضاء الإله (الجرو ٢٠٠٩: ١٣)، إضافةً إلى أن بعض المذابح الصغيرة ذات الشكل المكعّب الخاص باللبان أحد الأواني المستخدمة في الشعائر الجنائزية (مولر ١٩٩٩: ١٢٤).



الشكل ١: (Macarella 2018:58)

الموت، فتعبّر عن استقرار الأرواح، المتوقف على دفن الجسد وإقامة الشعائر الجنائزية، وإرفاق المرفقات والقرابين الجنائزية. وعلى غرار ذلك منطقة مقابر شكع في الضالع، ومقابر روكب في جزيرة سقطرى، ومقابر ربيون في وادي دوعن في حضرموت.

كما أظهرت الحفريات في وادي ضراء، ظهور ثلاثة مستويات من القبور، يصل مستوى عمق المقابر فيها إلى خمسة أمتار من مستوى سطح الأرض، إذ بُنيت بعض هياكل المقابر ذات الغطاء من لوح حجري، بعضها تكوّن من حفر تحيط بها قطع من الفخار، أما بعضها الآخر فلم تكن واضحة، وهذه الأنواع من المقابر غير المكتملة معمارياً ويعود إلى طبيعة الأرض الواقعة على الأودية الغرينية الخصبة (بروتون، بافقيه ١٩٩٣: ١٧-١٨).

احتوت المقبرة على عدد متنوّع من المرفقات الجنائزية للموتى، الحجرية والفخارية والمعدنية. وبخاصة القبر رقم ٣، الذي يعود لمحارب (يفع طرف)، (أودوان ١٩٩٩: ٢١٢)، وهذا التنوع للمرفقات أعطى فكرة الإعداد والتجهيز للطقوس الجنائزية للمتوفى.

فاستمرت بعض القبور التي استخدمت في فترة ما قبل الميلاد التي أعيد تأهيلها واستخدامها فيما بعد في أواخر الفترة الميلادية، وما قبل الإسلام، فبرزت تلك القبور بصورتين الأولى قبور النواويس، والثانية المحفورة في الأرض (العنسي ٢٠١٢: ١٧).

وبناءً على التنوّع في عادات الدفن والمرفقات في



اللوحة ٤: (المتحف الوطني- صنعاء) برقم تسلسلي م.ي ٣٧٧



اللوحة ٥: (مؤسسة نوح برقم ١٤٠١) وثقت من قبل المتحف الوطني - صنعاء



اللوحة ٦: (Antonini & Christian 2015: 4)

وكانت مقبرة وادي ضراء من أغنى المقابر بالمرفقات الجنائزية، إذ احتوت على الأواني المعدنية من الذهب والفضة والبرونز والأواني من العاج والزجاج، كذلك الأواني الفخارية والحجرية إلى جانب الحلي وأدوات الزينة والأسلحة، فقد أظهر هذا التنوع في المرفقات الجنائزية دقة المهارة في التصنيع، والمهارة الفنية في الزخرفة (بافقيه، بروتون ١٩٩٣: ٢١)، بينما احتوت مقابر حريضه الكهفية على الأواني الحجرية والفخارية والزجاجية والأحجار الكريمة والصدف والتماثيل الحجرية وأدوات الزينة وأدوات الصوان وأوبسيديان (شعلان ١٩٩٢: ٣١).

إضافة إلى ذلك، لم تقتصر المقابر على الأثاث الجنائزي والأواني الحجرية والفخارية والمعدنية والحلي والأسلحة فقط، بل إن هناك تماثيل أيضاً منها، وعلى سبيل المثال هناك تماثيل منحوت في جزئه الأمامي شكل وعاء واسع، يرمز وجود هذا التمثال مع الأثناء إلى توفير الماء الضروري لحياة الميت بعد الموت (الشيبه ٢٠٠٨: ٢٣٠) (اللوحة ٤)، إضافة إلى المواد النباتية للتحنيط كمادة الرائ (Macarella 2018: 57)، كما عُثر أيضاً على بقايا نبات البنّ مع مكيال بجانب المومياء في أحد المقابر الصخرية في منطقة صيح بني مطر (محمد ١٩٩٧: ٥٨).

كما تشير دلائل الانتشار والتوزيع وترتيب تلك المرفقات المتنوعة على نسق منظم، فيه درجة كبيره من العناية بالطقوس الجنائزية للمقابر التي عُثر عليها من خلال الحفريات الأثرية العلمية، التي تعد نتاجاً ثقافياً إنسانياً. إلى جانب العديد من المرفقات الجنائزية المتنوعة المعروضة في المتاحف اليمنية التي جاءت عن طريق الإهداء أو الشراء أو كانت ضمن الحياة الشخصية (اللوحة ٥)، وهناك في المتاحف الأجنبية مرفقات جنائزية من التماثيل والأواني، ومعظم تلك القطع مصنوعة من البرونز، والذهب، والفضة؛ فهي أكثر جمالاً وزخرفة (اللوحة ٦).

لقد كشفت البعثات الأثرية أثناء التنقيب اختلافاً

إلى حرمة انتهاك المقابر، منذ أقدم الفترات الزمنية كما هو في نقش (Ja 702) (محمد ٢٠٠٢: ٥٠).

وفي فترة عصور ما قبل التاريخ في منطقة حضرموت تعد النصب الحجرية رمزاً لعلامة شعائرية قد توحى دلالتها على مكانة المتوفى اجتماعياً أو اقتصادياً أو رمزاً للفئة المنتسب إليها، بحكم اختلاف عادات الدفن من منطقة إلى أخرى (فوكت ١٩٩٩: ٣٠)، وغالباً ما تحتوي هذه الشواهد أو النصب على علامات سحرية من الرموز المتنوعة، أمثال الكفّ المرسوم على النصب أو الكهوف باللون الأحمر لدلالة على الحماية وقوة الإله (الشيبه ٢٠٠٨: ٢٢٥).

وعادةً ما يكون تجسيد تلك الشواهد بحسب الاستطاعة والقدرة المادية لصاحبها، إذ لا يكاد يخلو قبر من القبور إلا ويحمل نصباً أو شاهداً يعبر عن شخصية الميت، مع كتابة اسم الميت عليه؛ ويذكر فيه اسم الإله طالباً منه الحماية من التخريب والأذى الذي يتعرض له (بافقيه ١٩٨٥: ٢٠٦).

لقد بيّنت ظاهرة الشواهد القبورية المنتشرة صورة تقريبية وواقعية إلى حد ما للمتوفى، إذ أظهر هذا الانتشار تنوعاً له خصوصيته تبعاً لكل منطقة، وعكست المستوى الاجتماعي الذي يُمثل مدى قدرة صاحبها وإمكانيته المادية لتحضير الشاهد (عرش، شيتيكات ٢٠٠٨: ٥-٦)، ويدل وجود تلك النصب في أبنية المقابر على خصائص طقسية تعد أكثر قدماً، التي لم تتفرد عنها منطقة دون أخرى، بل وجدت في شمال الحجاز غربي شبه الجزيرة العربية حتى تهامة (كيل ٢٠٠١: ٣٧).

الخاتمة

يمكن القول إن فكرة الاعتقاد بالحياة بعد الموت في حضارة اليمن القديم، تمثل امتداداً واضحاً لما عرفته الحضارات الإنسانية القديمة، إذ يُعدُّ هذا التصور انعكاساً لرغبة الإنسان الدائمة في ضمان الاستمرارية لما بعد الموت. لذا، تجسّدت فكرة الخلود عبر الطقوس والممارسات الجنائزية التي اختلفت وتتنوّعت وفقاً

في عادات الدفن في المقابر، وذلك من خلال وضع الإناء إلى جانب الرأس للمتوفى لاكتمال تلك الطقوس الجنائزية، في حين وجدت مقابر أخرى تضع تلك المرفقات حول المتوفى، بينما اكتفت بعض الممارسات لمقبرة أخرى بوضع بودرة العظام مباشرة على أرضية القبر دون مرفقات جنائزية.

كما يمكن القول إن تنوّع المرفقات الجنائزية أو محتويات المقابر التي كشفتها التنقيبات الأثرية وقدمتها الدراسات السابقة، تدلّ على تنوّع في تصوّر فكرة الموت بعد الحياة، أي التنوّع في التعبير عنها وفقاً للتنوّع الثقافي، والدين، واللغة، والنظام الاقتصادي، والعادات والتقاليد (الطقوس الجنائزية) التي تمارس في تلك المقابر الجنائزية، وقد فسّر الباحثون هذا الاختلاف على أنه نتاج لاختلاف عادات الدفن عند ممارسة الطقوس الجنائزية.

٣- النصب (الشواهد) القبورية

تعد النصب (كشواهد قبورية) أحد الشواهد المادية وأوفرها فائدة وأصدق تصويراً لتوضيح أنواع الطقوس الجنائزية، التي قدّمت من أجل تجسيد الخلود وتحقيق فكرة العودة إلى العالم الآخر، وهذا النوع من الطقوس الجنائزية لعب دوراً مهماً في الحياة الدينية لدى اليمنيين القدماء؛ لأنها صارت لديهم ركيزة أساسية لإرضاء الإله في التعرّف وقبول أرواحهم في العالم الآخر. ويؤرخ أقدم النصب المنتشرة على أبنية المقابر إلى الألف الأول ق.م. (كيل ٢٠٠١: ٣٧).

كما ظهرت أنواع مختلفة من الشواهد القبورية التي تعمل على تعرّف الروح على صاحبها، بحسب اعتقاد المتوفى، وهي شواهد على شكل رموز، مثل شواهد تمثل رأس الميت، وشواهد تصور منظرًا زخرفياً يحكي قصة عمل ذلك الإنسان إلى جانب العنصر المعماري والنباتي والهندسي، وفي الغالب تظهر تلك الشواهد نحتاً لصورة المتوفى في أوضاع مختلفة مع كتابة اسم المتوفى والإله الحامي، أو كتابة دعاء للحماية من التخريب للقبر. وقد أشارت معظم النقوش المسندية

وضع بعض المرفقات الجنائزية معه كباقي الشعوب الأخرى، ولا يدل ذلك على غياب فكرة تتعلق بالحياة بعد الموت، وأن وجود المقابر بالقرب من المعابد دليل على وجود علاقة بين إقامة الطقوس الجنائزية للمتوفي تحت حماية الإله للمقبرة وممتلكاتها.

أما بالنسبة لخلو بعض المقابر من المرفقات الجنائزية فيمكن تفسيره بثلاثة أسباب، الأول: يعود إلى الحالة المادية للمتوفي؛ والثاني: يعود إلى عدم استعداد المتوفى للتجهيز للمرفقات وهو في حالة رحلة تجارية إلى خارج المنطقة، فقد كانوا يكتفون بوضع قربان الجمال في المعبد للآلهة لحمايتهم وعودتهم سالمين، إن لم يتح له العودة، فيدفن دون وضع مرفقات جنائزية متكاملة؛ بينما السبب الثالث: يرجع إلى عدم اكتمال الحفريات الأثرية في جميع المواقع الأثرية، في حين تتعرض معظم المواقع والمقابر بشكل خاص لنهب المرفقات وعرضها في المزادات العلنية.

للبيئة والثقافة السائدة، واتفقت جميعها في جوهريها على الخلود والإيمان بالحياة بعد الموت، ولهذا سعى الإنسان اليمني إلى التجهيز والإعداد للميت من خلال ما كان يضعه في المقابر من المرفقات الجنائزية المتنوعة التي شملت أواني طعام، والشراب، والقرايين، والحلي، والأدوات، والأسلحة، التي تعكس تصويره عن احتياجاتهم في رحلة الخود.

إن طبيعة معرفة هيئة الطقوس الجنائزية في اليمن القديم تبين من خلال بعض نتائج التنقيبات الأثرية التي أجريت في العديد من المقابر، وبخاصة في مقابر وادي ضراء، ومأرب، والقصر الملكي في العصبية، كما أن جلّ الحفريات التي تمت في بعض المناطق للحضارة اليمنية، لا تمدنا بشكل قاطع لنوع الشعائر والطقوس الجنائزية بشكلها الكامل لجماعة معينة.

لا يمكن الاستدلال على إهمال جسم المتوفى بعدم

وداد أحمد القدسي: أ. وداد أحمد قاسم القدسي: جامعة صنعاء- اليمن. Widadalqadasi525@gmail.com

الهوامش:

- (١) القبر الرمسي: الرَّمَسُ: القَبْرُ، التراب الذي يغطي القبر ونحوه (معجم الدوحة: رَمَسَهُ): ورَمَسَ الميت أي غطاه بالتراب، دفنه، رَمَسَ القبر سَوَاهُ بالأرض والرمس القبر مستويًا مع وجه الأرض (معجم المعاني الجامع: رَمَسَ).
- (٢) مقابر ذو ناووس: نَوَّسَ أي أقام به (معجم الدوحة: نَوَّسَ)، نَوَّيسَ تسمية قديمة تعني صندوق أو ما شابه ذلك يوضع فيه جثة الميت (معجم المعاني الجامع: ناووس).

المراجع:

أولاً: المراجع العربية

- أودوان، ريمي، ١٩٩٩، «وادي ضراء»، اليمن في بلاد ملكة سبأ، تحقيق: بدر الدين عروودي، معهد العالم العربي، دار الوهاج، دمشق: ٢١٢-٢١٤.
- بافقيه، محمد عبدالقادر، ١٩٨٥، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- بروتون، جان فرانسوا؛ بافقيه، محمد عبدالقادر، ١٩٩٣، كنوز وادي ضراء، مج ١٤١، المعهد الفرنسي لآثار الشرق الأدنى، المكتبة الشرقية بول عوشر، باريس.
- الجرو، أسمهان سعيد، ١٩٨٩، «المدافن اليمنية القديمة مصدر هام لدراسة تاريخ اليمن القديم»، مجلة دراسات يمنية، ع ٣٨: ١٤٣-١٩٣.
- جرلاخ، إيرس؛ فوكت، بوركهارت، ٢٠٠٤، «شُعُوب: حضريات طارئة في مقبرة حميرية قديمة بصنعاء»، مجلة المسند، ع ٢: ٥٤-٦٨.
- جرلاخ، إيرس؛ هتجن، هولجر، ٢٠٠٥، «عادات الدفن في الفترة الحميرية المبكرة حضرية مقبرة شعوب (صنعاء)، صنعاء الحضارة والتاريخ، المؤتمر الدولي الخامس للحضارة اليمنية، مج ١: ٤٤٥-٤٦٣.
- الحاج، خالد عبده، ٢٠١٥، «اكتشافات أثرية من العصر السبئي المتأخر في مدينة سُقْرَة معطيات جديدة حول شعائر وطقوس الدفن المتبعة في القرن الأول الميلادي في موقع الحصمة»، جنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وجيرانها: تطورات بحثية جديدة، المؤسسة البريطانية لدراسة شبه الجزيرة العربية، دراسات فردية، مجلد ١٦، سلسلة بار الدولية 2740.
- الحسني، جمال محمد، ٢٠٠٦، الإله سين في ديانة حضرموت القديمة دراسة من خلال النقوش والآثار، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ شعبة التاريخ القديم، كلية الآداب، جامعة عدن.
- حسين، إيمان لفته، ٢٠٠٩، «الطقوس الجنائزية في بلاد وادي الرافدين خلال الألف الثالث قبل الميلاد»، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، ع ٤: ٢١٥-٢٣٦.
- الحسيني، صلاح سلطان، ٢٠١٣، طرق الدفن والأثاث الجنائزي في مقابر موقع الحُصْمَة سُقْرَة، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، الرياض.
- حنون، نائل، ١٩٨٦، عقائد ما بعد الموت، ط ٢، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق.
- دغيم، سميح، ١٩٩٥، أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، ط ١، دار الفكر اللبناني، بيروت.
- دي ميغريه، أليساندرو، ١٩٩٩، «الطقوس الجنائزية»، اليمن في بلاد ملكة سبأ، تحقيق: بدر الدين عروودي، معهد العالم العربي، دار الوهاج، دمشق: ١٦٩-١٦٥.
- السقاف، عبدالرحمن عمر، ٢٠٠٧، تطور الحياة الفكرية لليمنيين القدماء، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة صنعاء.
- سيدوف، الكسندر، ١٩٩٩، «مقابر الإبل»، اليمن في بلاد ملكة سبأ، تحقيق: بدر الدين عروودي، معهد العالم العربي، دار الوهاج، دمشق: ٢٩٥.
- سيدوف؛ السلموني، فضل، ١٩٨٧، «طقوس الدفن لسكان ريبون القدماء»، حضرموت القديمة والمعاصرة، ج ٢، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، أكاديمية العلوم السوفيتية، البعثة اليمنية السوفيتية المشتركة للآثار والدراسات التاريخية: ١٢٠-١٢٨.
- شعلان، عميدة محمد، ١٩٩٢، عادات الدفن في حضرموت، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الآثار والأنثروبولوجيا، جامعة اليرموك.
- الشبية، عبدالله حسن، ٢٠٠٨، ترجمات يمانية، ط ١، منشورات دار الكتاب الجامعي، صنعاء.
- عريش، منير؛ شيتيكات، جيريمي؛ الهادي، إبراهيم عبدالله، ٢٠٠٨، مجموعة الشواهد القبرورية من وادي الجوف، ط ١/ ج ٣، منظمة اليونيسكو الصندوق الاجتماعي للتنمية- المتحف الوطني بصنعاء، صنعاء.
- العريقي، منير عبدالجليل، ٢٠٠٢، الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم، ط ١، مكتبة مدبولي، مصر.
- العنسي، خالد علي، ٢٠١٢، القبر الملكي، ط ١، دار الكتب بصنعاء، صنعاء.

الدين عروودي، معهد العالم العربي، دار الوهاج، دمشق: ١٦٩-١٧٠. كيل، أدوار ج. ٢٠٠١، «انصباب الميغاليت في سهل تهامة الساحلي في اليمن»، دراسات في الآثار اليمنية (من نتائج بعثات أمريكية وكندية)، ترجمة: ياسين محمود الخالصي، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، اليمن.

محمد، عبدالحكيم شايف، ١٩٩٧، الأنثروبولوجيا الطبيعية وأهميتها لعلم الآثار، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة الخرطوم.

.....، ٢٠٠٢ الدلالات الثقافية والحضارية للمدافن في جنوب شبه الجزيرة العربية خلال الألف الأول ق. م، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، قسم الآثار، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة الخرطوم.

مولر، والتر، ١٩٩٩، «الدين»، اليمن في بلاد ملكة سبأ، تحقيق: بدر الدين عروودي، معهد العالم العربي، دار الوهاج، دمشق: ١٢١-١٢٩. مؤسسة نوح: مؤسسة خاصة باللواء المرحوم عبدالمملك السنياني.

م.ي: المتحف الوطني بصنعاء، قطع أثرية جديدة غير منشورة.

العيدروس، حسين أبوبكر، ٢٠١٤، «المقابر والتحنيط في حضارة اليمن القديم»، المجلة العربية، ع٤٤٨: ٧٨-٨٣.

.....، ٢٠٢٤ الإنسان الأول في حضرموت، ط١، مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، حضرموت.

غلانزمان، وليام ١٩٩٩، «مقبرة تمنع»، اليمن في بلاد ملكة سبأ، تحقيق: بدر الدين عروودي، معهد العالم العربي، دار الوهاج، دمشق: ١٧١-١٧٧.

غوران، اندرية لوروا، ٢٠٠٦، أديان ما قبل التاريخ، ط١، ترجمة: سعاد حرب، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت.

فوكت، بوركهارد، ١٩٩٩، «نهاية ما قبل التاريخ في حضرموت»، اليمن في بلاد ملكة سبأ، تحقيق: بدر الدين عروودي، معهد العالم العربي، دار الوهاج، دمشق: ٣٠-٣٣.

كلودرو، جان، ١٩٩٩ (أ)، «عالم الأموات»، اليمن في بلاد ملكة سبأ، تحقيق: بدر الدين عروودي، معهد العالم العربي، دار الوهاج، دمشق: ٢٠٥-٢١١.

.....، ١٩٩٩ (ب) «تنوع القبور»، اليمن في بلاد ملكة سبأ، تحقيق: بدر

ثانيًا: المراجع غير العربية

Antonini de DE Maigret, Sabina & Christian Julien Robin, 2015. “Two silver vases of Greco-Roman style from the ‘treasure of wādī Ḍura’ (Yemen)”, in: **Pre-Islamic South Arabia and its Neighbours: New Developments of Research, Proceedings of the 17th Rencontres**, Oxford (Archaeopress): 3-12

Al Jarw, Asmahan Saeed, 2009. “Religious Rituals and ceremonies at Al-Maqah (Awwam) Temple in Ma’rib, in the light of Maḥram Bilqīs Inscriptions”, **Research Gate**: 1-37.

Beeston, A. F. L., Ghul, M. A., Müller, W. W., &

Ryckmans, J., 1982. **Sabaic dictionary (English-French-Arabic)**, Louvain-la-Neuve: Peeters.

Mancarella, Clara, 2018. **Pre-Islamic South Arabian burial rites in the context of social change**, Masterarbeit, Freie wissenschaftliche Arbeit zur Erlangung eines Mastergrades am Fachbereich Geschichts- und Kulturwissenschaften der Freien Universität Berlin.

Nur-El-Din, Abd-El-Halim, 1995. “The Mummsies of shibam- AL-Garas(Sana’a District)”, **Al- Misnad magazine**, issue 23: 263- 261.